أبشع مجزرة في القرن العشرين

عن مجلة (المجتمع) الكويتية

أعدمت حكومة الصومال عشرة من المسلمين حرقاً في ميدان عام .

أذاعت النبأ .. وكالات الأنباء العالمية ، والصحف والإذاعات .. وأكدته حكومة الصومال .

وروع العالم كله بهذه المجزرة اللا إنسانية .

فهذه أبشع مجزرة بشرية يرتكبها بشر ينتسبون إلى الآدمية في القرن العشرين .

فالمجزرة تشكل جرائم مزدوجة

- قتل مسلمين .. مارسوا حقهم المشروع في الاعتراض على محاولات تصفية الإسلام في الصومال .
- قتل بغير حق .
- قتل بأبشع وسيلة وهي الإحراق بالنار في ميدان عام .

ولشدة بشاعة هذه المجزرة .. احتجت لجنة حقوق الإنسان الدولية على ما اقترفته حكومة الصومال وقالت اللجنة : إنّ إنهاء حياة الإنسان عمل لا يبرره أبداً كلام الحكومة الصومالية .

وأرسلت جمعية الإصلاح الاجتماعي برقيات استنكار .. إلى حكومة الصومال وجامعة الدول العربية .

وقبل أن نوجه النداء إلى العالم الإسلاميّ ، والعالم الإنساني للقيام بواجبهما إزاء مأساة إنسانية لا يمكن وصف أحزانها . ولا التعبير عن حجم جرمها ، ومقدار استخفافها بكرامة الإنسان .

قبل ذلك .. نعرض للظروف والملابسات التي وقعت فيها الجريمة .. ثم نذكر حقيقة القضية التي صاحبت إحراق الآدميين .

منذ أن وقع الانقلاب –الذي أنهى عهد الحريات في الصومال– والإسلام يتعرض لمحاولات تصفية واسعة النطاق في التشريع والتوجيه والتربية ، والصبغة العامة للدولة .

فقد طرح الانقلاب المذهب الماركسي والاشتراكية العلمية –وهو مصطلح يعني الإلحاد بالمفهوم الماركسي ذاته– طرح هذا المذهب كبديل للإسلام .

و لم يكن الطرح نظرياً ، فقد صاحب ذلك إجراءات عملية استهدفت إقصاء الإسلام عن الحياة الصومالية .

فالصومال بلد مسلم تبلغ نسبة المسلمين فيه ١٠٠% وهو يدين بمذهب أهل السنة ، ولا يمكن أن يطبق المذهب الماركسي في بيئة كهذه إلا على أنقاض الإسلام . وهذا ما فعله ويفعله النظام الانقلابي في الصومال .

لقد هتف الماركسيون في الصومال أثناء زيارة بودجورني للصومال .. لا إسلام بعد اليوم .. وهو هتاف رددوه من قبل في السودان واليمن الديمقراطية .. بل في اليمن الشمالي إبان الفتنة الأخيرة .

إنّ النظام الانقلابي وعد الناس بتحرير الأراضي الصومالية التي لا تزال تعاني الاستعمار والاحتلال . وعدهم بتحرير منطقة (أوجادين) وميناء (جيبوتي) .

ومضت الأيام ، و لم يحرر شبراً من هذه الأراضي ، وعندما أحس بأن الناس قد فقدوا الثقة بوعوده .. افتعل حروباً داخلية .. ومعارك أهلية كتعويض وإنجاز ..

إنّ استخدام القوة ضد الحبشة –مثلاً– التي تستعمر أوجادين .. عمل غير وارد .. أما استخدام القوة والعنف ضد المسلمين في الداخل فهو أسلوب معتمد .. ومفضل ..

في مجلة (العربي) الكويتية –عدد كانون الثاني/يناير ١٩٧٥م– تصريح لأحد المسؤولين الانقلابيين في الصومال .. يقول التصريح :

(إننا ننبذ استخدام القوة . إذ لماذا يسال الدم الأفريقي إذا كان في الإمكان حقنه . لماذا نورط أنفسنا في قتال بين الإخوة كما خطط لنا الاستعمار .. وهناك بدائل أخرى) .

الصومال يتعرض لمجاعات طاحنة ومبيدة .. تحصد عشرات الألوف من الجياع في المدائن والقرى . ولا تزال النداءات تتوالى من أجل إنقاذ هؤلاء الجياع .

وفي الجانب المادي يعتبر توفير الضرورات للناس مقياس أي حكم ناجح .

لكن الناس في الصومال يحسون بأن طوق الجوع والبؤس يضيق حول أعناقهم يوماً بعد يوم .

وهنا .. وبدلاً من تقديم لقمة الخبز للأفواه الجائعة .. قدم لها اللحم البشري المشوي في ميدان عام .. لعل استنكافها منه يسدّ شهيتها عن الطعام العادي يوماً أو بعض يوم .

وتفريغ الهموم في عمليات غريبة ومدوية خطة مفهومة في سلوك الانقلابات .

أوقفت عمليات إحراق المسلمين في الصومال بما يسمى (عام المرأة) الدولي .

وروج الانقلاب -كتبرير لمجزرة الإحراق- شائعة تقول : إنّ المسلمين الذين أعدموا كانوا يعترضون على منح المرأة الصومالية حقوقها السياسية .

هذه الشائعة لا صلة لها بما يجري في الصومال . ولكن الشائعة روجت -قصداً- للإفادة من ظرف نفسي واجتماعي عالمي وهو ظرف (عام المرأة) الدولي . وكأنهم يقولون : إنّ الصومال قد قطع أشواطاً بعيدة في طريق التقدم . والدليل أنّه أعدم عشرة من المسلمين حرقاً بالنار من أجل حقوق المرأة ولكن .. أي امرأة في العالم لها ضمير وفي إحساسها إنسانية ترضى بأن يكون أنصارها : زبانية يحرقون الرجال في النار في مذبحة جماعية .. رجال هم أبناء أمهات .. وأزواج نساء .. وآباء بنات ؟؟

القضية . . في حجمها وحقيقتها

تلك كانت الظروف والملابسات التي وقعت فيها الجريمة المروعة ، فما هي القضية الأساسية في حجمها وحقيقتها ؟

القضية الأساسية هي أن النظام الانقلابي في الصومال أقدم على (إلغاء) الشريعة الإسلاميّة وتصفية وجودها في مجالات التشريع والتربية والتوجيه .

ووقف المسلمون يرفضون هذه الردة ، ويطالبون بالإبقاء على شريعة الإسلام .

وخطب أحد أئمة المساجد يذكّر المسلمين بضرورة التمسك بشريعة الله ويتلو قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ١٨]

وهب أكثر من داعية يعبر عن عقيدته ويصور مشاعر المسلمين الصوماليين تجاه إلغاء الشريعة الإسلاميّة .

ألقى النظام الانقلابي القبض على هؤلاء الدعاة وعشرات من المسلمين غيرهم .. ثم أعدم عشرة منهم حرقـــاً في العاصمة مقديشو . وحكم على الآخرين بالسجن مدداً تتجاوز كل خيال .

ومن ضمن ما اعترض عليه المسلمون هناك ، إلغاء تشريعات إسلامية تتعلق بالمرأة .

إنّ النظام الانقلابي .. ألغى هذه الآيات الكريمة من حياة الأسرة الصومالية المسلمة :

▪ ألغى آية الميراث : ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ** ... ﴾ [النساء : ١١] فقـــد قـــرر الانقلاب أن يكون للأنثى مثل حظ الذكر ..

▪ وألغى آية الطلاق : ﴿ **الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ... ﴾ [البقرة : **٢٢٩**] ، فقد قرر النظام الانقلابي : ألا طلاق أبدا ..

▪ ألغى آية تعدد الزوجات : ﴿ ... **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ** ... ﴾ [النـــساء : **٣**] فقد قرر الانقلاب من تعدد الزوجات .. مطلقا .

وليس من حق أحد لا مجلس الانقلاب في الصومال ولا زياد بري ولا من هو أكبر من زياد بري أن يـــشطب في الأرض ما شرعه الله في السماء . إنّ المسلمين في كل أرض يعبدون الله ويطيعونه بما أنزل من تـــشريع . ولا طاعـــة لمخلوق في معصية الخالق .

وأي معصية .. أي ردة أعظم من إلغاء آيات من القرآن الكريم وإقصائها عن حياة المسلمين ؟

في وجه هذه الردة وقف المسلمون في الصومال ، فكان مصيرهم القتل حرقا .. إنّ ما يجري في الصومال شـــيء خطر جدا .

▪ الإسلام يتعرض للتصفية الشاملة .

▪ والمسلمون يعدمون حرقاً بالنار لأنهم قالوا : ربنا الله وشريعتنا الإسلام .

▪ واللغة العربية تطمس .. وتنسخ ، فقد محا النظام الانقلابي اللغة العربية واستبدلها –في النطق والكتابة– باللغـــة اللاتينية .

وينبغي التصدي بحزم وصراحة لهذه الردة الشاملة المقصودة .

إنّ أولياء الإسلام في كل أرض مطالبون بأن يقفوا وقفة رجل واحد .. من أجل إنقاذ الإســـلام والمـــسلمين في الصومال .

إنّ الجماعات الإسلاميّة في العالم كله مدعوة لأن تتحرك وتؤدي واجب العقيدة والإخاء . فقـــضية الإســـلام لا تتجزأ ، والعدوان على هذا الدين في الصومال عدوان على الإسلام في ماليزيا والسعودية والسودان ومـــصر والـــيمن والكويت والجزائر وباكستان وإندونيسيا وأبو ظبي ونيجيريا وتركيا .. إلخ .. وأن هناك عملاً واجباً ينبغي أن يتم – بسرعة واهتمام– على أربعة مستويات :

▪ أولاً : مستوى الحكومات في العالم العربي–الإسلاميّ ، والعمل في هذا المستوى يتركز في إعادة نظر هذه الدول في علاقاتها مع النظام الانقلابي في الصومال .. وتجميدها العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والسياسية . وثمة إجراءات نافعة في هذا المجال ، وفي مقدمتها إيقاف أي عون اقتصادي أو مالي عن النظام الانقلابي .. حتى يكـــف يـــده عـــن الإسلام والمسلمين ، بتعهدات صريحة تدور معها المعونات وجوداً وعدما .

إنّ أخذ الضمانات من أجل حماية دماء المسلمين وعقائدهم أهم آلاف المرات من ضـــمانات اســـتثمار رؤوس الأموال .

▪ ثانياً : على المستوى الدولي .. والعمل هنا يتركز في نقل القضية بتوسع .. ومتابعة إلى كافة المنظمات الدوليـــة ذات العلاقة بهذه القضايا .

- لجنة حقوق الإنسان
- محكمة العدل الدولية
- منظمة القانونيين الدوليين .. و .. و ..

إنّ الذي حدث في الصومال جريمة في حق الإنسان من حيث هو إنسان . والاستخفاف بكرامة وحيـــاة آدمـــي واحد استخفاف بكرامة وحياة بني آدم جميعا :

﴿ ... **مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّـــاسَ جَمِيعًا** ... ﴾ [المائدة : ٣٢]

▪ ثالثاً : على مستوى المنظمات والهيئات الإسلاميّة .

إنّ الأمانة العامة للمؤتمر الإسلاميّ –والصومال عضو في هذا المؤتمر– مدعوة لأن تتحرك وتقف الموقف المناســـب لحجم القضية ومستوى المأساة .

إنّ المجاملات لا معنى لها أبداً في هذا المجال ، وما لم تثبت الأمانة العامة جدارتها في هذا الموقف فإن نــشاطها لا وزن له .

ورابطة العالم الإسلاميّ مدعوة للاتصال بكافة المنظمات المشتركة في مؤتمر المنظمات الإسلاميّة الذي انعقد بمكة المكرمة .. تتصل بها وتدعوها لعمل جاد وكبير ومؤثر وفعال .

والأزهر مدعو لعقد مؤتمر إسلامي موسع يشرح الأوضاع في الصومال .. ويقف إلى جانـــب إخـــوة العقيـــدة والإسلام .

إننا نشاهد المؤتمرات تعقد من أجل المطران كبوتشي .. ونشاهد الشيوعيين واليهود والقساوسة يمـــلأون الأرض نشاطاً إذا تعرض شيوعي أو يهودي أو قسيس لأذى .

إنّ المسلمين أحق بهذا التناصر وبهذه المواقف التي يمليها الإيمان بالله ، والإيمان بفريضة الإخاء .

إنّ في الصومال دعاة وأئمة مساجد من أبناء الأزهر تلقوا تعليمهم فيه ، وتربوا بين جدرانه ، وهم اليوم يتعرضون -وعقيدتهم معهم- للقتل والإبادة .

على الأزهر واجبان .. واجب نحو إخوانه في العقيدة وواجب نحو تلاميذه في العلم .

- رابعاً : على مستوى المحامين الإسلاميّين

إننا ندعو المحامين الإسلاميّين إلى تكوين منظمة تضم نخبة ممتازة منهم تأخذ طابع الثبات والدوام وتتخطى الأقاليم والجنسيات وتركز دفاعها على قضايا العقيدة وقضايا المسلمين .

وخير ما تبدأ به عملها الدفاع عن المسلمين في الصومال . ويمكن لهذه المنظمة أن تستنفر نقابـــات ومنظمـــات المحامين في العالم .. ففي القضية معايير مشتركة تتمثل في الجانب الإنساني .